

الجميلة ترج ايضاً رجاً عظيماً من توافد الوف الناس عليها . وهؤلاء الناس يرجون ايضاً صحة وعافية ومعرفة ورياضة وتفرغاً بضعة ايام من اشغالهم اليومية

امر بهم الشرق كله لا مصر وحدها

## مستقبل

## العامل والفلاح في مصر

اي تسعة اعشار الامة

شيء جديد في خطبة

—+83083+—

لا نتعرض للمجلات ( للسياسة البحتة ) كما قلنا في صدر هذا الجزء . ففي مباحث الجرائد الكبرى غنى عن مباحث المجلات في هذا الشأن . ولكنه اذا بدا موضوع جديد أو امر خطير لاصق بالمباحث التي اعتادت المجلات فيحسن بها ان تشير اليه لا يخفى ما عليه حالة العملة والفلاحين في مصر وهم تسعة اعشار الامة المصرية تقريباً . فرب عامل اجرته في اليوم الواحد فرنك واحد ( اربعة غروش ) او اقل في حين ان اقل اجرة للعامل في اميركا ريال في النهار . والفلاح في مصر يفي عامه تعباً في زراعة ارضه ولا يبقى له من دخلها الا الذرة يعيش منها هو وعيلته . واصل هذا البلاء امران . الاول جهل الفلاح بطرق الكسب وزيادتها وبحفظ المال المكتسب واستثماره والدفاع عنه . والثاني قوة الذين يعملون الفلاح والعامل ودهائهم يساعده اضطرارهما الى الرضى بما يفترضونه ويرسمونه . وهذه حال لازوال لها الا بجمعيات بؤلفها اصحاب كل حرفه من الحرف وكل فريق من العملة لتفهمهم الطرق التي يصونون بها نفوسهم والدفاع عن حقوقهم ليس بازاء الهيئة الحاكمة فقط بل بازاء مستخدميهم ومستأجريهم ومبتزبيهم شأن العملة في اوروبا واميركا . والعقبة الكبرى التي في طريق هذه الجمعيات امران . الاول عدم فهم الشعب نفسه اهميتها وتعذر اتحاده وتضامه فيها لاننا لم نبلغ طور التضامن بعد . والثاني استحالة قيام هذه الجمعيات وانتشارها وتعاظمها ان لم يتول قيادة العملة والفلاحين زعماء من اهل

النفوذ والرأي والمعرفة ينظمونهم ويدربونهم كما يفعل زعماء العملة في اوربا الذين منهم الآن في انكلترا المستر كير هردى والمستر لويدي جورج وزير المالية واصله عامل من العملة والمسيو جوريس في فرنسا والمسيو بيل في المانيا والمستر براين في الولايات المتحدة الخ و يظهر من خطبة جناب رئيس الحزب الوطني المصري عزتو محمد بك فريد في المؤتمر الاخير ان هذا الحزب بدأ يفكر في هذه المسألة الكبرى . واذا اخرجها من حيز القوة الى حيز الفعل كما قال حضرته في خطبته فان انقلاباً جديداً في مصر على الابواب . وسلطة جديدة آخذة في التكون والبروز الى ميدان الحياة المصرية . وعلى الحكومة المصرية ان تحسب حينئذ حساباً عظيماً لتلك القوات الجديدة الآخذة في التكون

ومما قاله حضرة الخطيب في خطبته ( ان الملاح المصري يدفع اكبر جزء من الميزانية المصرية بينا اصحاب المصارف والتجار اصحاب الاموال المنقولة لا يدفعون شيئاً ) ومقتضى هذا الكلام وضع الضريبة على الدخل التي طعنها السيد حسن موسى العقاد في احدى رسائله في الشهر الماضي طعنة دامية قبل ان يجري البحث فيها . كأنها غول يخشاه اهل المال فاذا تنسموا ريحه من بعيد هبوا لمقاومته قبل وصوله

ومن اقوال حضرة الخطيب ايضاً ( ان الفلاح المصري انعس فلاح في العالم ولا خلاص له من هذه الحالة الاّ بنشر التعليم الابتدائي وجعله اجبارياً وتشكيل نقابات خصوصية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزدنون عليه الاجارات بمناسبة وبغير مناسبة وامام المرابين الذين يأخذون منه مايقبض له « وايضاً ( العمال في بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يلزم المفاوض بدفع تعويض لمن يموت شهيداً عماله او يقطع احد اعضائه فيصبح عديم الكسب . ومن الامثال العامية ( ان الفاعل ديتة أجرته ) ولا الحكومة تفكر في الدفاع عنه — نقابات العمال قوة تخضع لها الحكومات وتطأطأ رؤسها امامها — بفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين في انكلترا وفرنسا ومانيا تفهم لكل عامل في الصناعة او في الفلاحة معاشاً سنوياً متى بلغ سنناً معلومة ولم يكن لديه ما يسد الرق ويمنعه من التكفف — ولا سبيل لايجاد هذه الحركة المباركة في مصر حتى يصبح الصانع والزارع في مأمن من الفقر والتكفف عند الشيخوخة او المرض او التحسين حالته المعاشية الاّ بالاكثر من فتح المدارس الليلية في المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون ) الخ ثم قال حضرة الخطيب ان الحزب الوطني قد شرع في تنفيذ هذه الفكرة

فهذا موضوع خطير اذا عمّ مصر نقل طبقاتها الضعيفة من حال الى حال ودخات هذه الطبقات بجمعياتها الى ميدان السلطة وصار لها كلمة نافذة وبدأ في مصر النزاع بين ( الطبقات ) طبقة الأجورين وطبقة المستأجرين . وهذا النزاع موجود الآن بين النزلاء الاجانب ولكنه ضعيف

الا ان الامر الجدير بالاعتبار هو هل يستطيع الذين يتولون قيادة هذه الحركة الاجتماعية اياً كانوا ان يجرؤوا على خطتها الطبيعية المألوفة عند جميع الامم ولا تسوء هم في منتصف هذه التجربة النتائج التي تنتج عنها كقيام نزاع شديد بين اهل المال واهل العمل لاسبيل الى ازالته وقيام افراد متجلبين يمتون الشعب امني يستحيل انفاذها فيستأسرون امياله ويحتذبونه اليهم وظهور المبادئ الاشتراكية حينئذ في مصر بمظهرها الواضح الفعال . وغني عن البيان اننا اذا القينا هذا السؤال فانما نلقيه على جمهور اهل المال واصحاب الاملاك لا على العملة والفلاحين لان نتيجة هذه الحركة الاجتماعية تكون على الدوام في مصلحة العملة والفلاحين . واذا كان قد اصبح موجوداً في مصر فريق من اهل الرأي واصحاب الاموال والاملاك يروقه احداث حركة اجتماعية مفيدة لسواد الشعب كهذه الحركة وان اضرته هم في بعض مصالحهم فذلك دليل على ارتفاع حقيقي . ويكون حينئذ شأنهم شأن رجال الثورة الفرنسية الاولى الذين حرروا الفلاح والعامل في بدء الثورة ثم استمر ابناء الفلاح والعامل يتضامون ويتضامنون حتى ازهقوا نفوس ابناء الساسة الذين حرروهم وخلفاءهم بجمعياتهم التي كادت تصبح صاحبة سلطة فعلية على الحكومة الجمهورية نفسها . واننا كلما سمعنا في ( الجريدة ) الغراء صوت مديرها الذي مع كونه من طبقة اعيان مصر واصحاب الاملاك فيها ( فضلاً عن مقامه الشخصي الذي بلغ اليه بعلمه وفضله ) يصرخ في انحاء القطر صرخاته المعروفة حتى ضد الطبقة التي حضرته احد افاضلها يخيل اليها اننا نسمع اصوات اولئك الرجال الذين قبلوا الامة الفرنسية من حال الى حال . واذا كان ظهور مثل هذه الاصوات في مصر دليلاً على قرب بلوغ الفلاح المصري والعامل المصري — اي تسعة اعشار مصر — شيئاً من صلاح الحال ورفعة الشأن بعد ماتحملاه من البلايا والرايا منذ عهد الفراغة الاولى حتى اليوم — فحبذا هي وحبذا السعي في هذا السبيل

هذا موضوع لا يهم مصر وحدها بل يهم الشرق بأسره والعثمانيين في مقدمته . وهذه مسألة حساسية في منتهى البساطة فانه اذا كان تسعة اعشار الامة مهملات ضعيفة لاموازنة بين دخلها وخرجها ولا قوة لها على تدبير شؤونها تبقى الامة ضعيفة قاصرة ولا يغني عنها

ارتقاء عشر او نصف عشر منها . بل ان الاشار التسعة المحملة الضعيفة تعدي العشر الذي ارتقى اذا استمرت على اهلها وضعفها وتمازت فيها . وبهذه العدوى تجره وتدليه اليها بدل ان ترتفع اليه . ولذلك لا نرى شيئاً ادعى الى العجب والدهشة من الاراء السائدة بيننا في شأن العملة والفلاحين والطبقات الضعيفة . فان هذه الطبقات اذا قامت بمظاهرة او ورد ذكرها في شأن يقال عنها انها غوغاء لا عقل لها ولا يعتد برأيها . وهذا ناشئ عن افكارنا الجبروتية القديمة التي كانت لضعفها وذلنا توله الاعيان والحكام وكل من يرجى نفعه او يخشى ضره . وتعد عامة الشعب انعاماً سائماً . ونحن لقصر نظرنا لا نرى ان هؤلاء العامة هم جمهور الامة فاذا ارتقوا ارتقىنا بارتقائهم وكنا امة راقية واذا انحطوا انحططنا معهم وكنا امة منحطة

واقد يعتد في هذه المسألة بقول نيتش القائل : ان الشعب قطع من المواشي لا يعتد برأيه ويجب حكمه بالقوة والجبروت وان مبادئ الثورة الفرنسية والاديان التي اقرت المساواة والاخاء والحرية مبادئ افسدت العالم واخرجته عن طريقه القويمة . ولكن لا ننسين ان نيتش يقول هذا القول في امم منظمة راقية طبقاتها العليا والمتوسطة قوية كثيرة العدد متسلطة على الطبقات الضعيفة بالطرق السياسية والصناعية والتجارية والاختراعات الحديثة فهي تعدى من ارتقائها ولا تعدى هي من انحطاطها ولذلك ترفعها اليها شيئاً فشيئاً . وليست المسألة عندنا مسألة فلسفية علينا البحث في مبادئها واصولها لتقرير حق كل طبقة وطريقة حكمها نقر برأ فلسفياً وانما المسألة مسألة انهاض تسعة اعشار امة . اي امة كاملة تقريباً يكاد لا يكون لها ارسطوقراطية سياسية او اجتماعية او علمية ( كالارستوقراطية المقصودة في كلام المتكلمين في هذا الشأن ) تحكم الامة وتنظمها وتحمل عنها صدمات العمران والارتقاء وتولى قيادتها في عقبات الحياة . وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي لنبسط وجوهاً جديدة لهذه المسألة ونقارنها باحوال الامم الاوروبية والاميركية

